الدرس الرابع

من مشاهد يوم القيامة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ (إبراهيم:١٩-٢٣) .

تتحدَّث السورة عن مواكب الأنبياء، وكيف وقف منهم أقوامهم، وكيف كذَّبوهم، وكيف نزلت بهم نقمة الله عزَّ وجلَّ، وكيف يُرى مصير الجبابرة في الآخرة، والنار تحيط بهم من كلِّ جانب .

ثم بعد هذا نقف عند هذا المشهد الجديد من مشاهد يوم القيامة، وما أروع مشاهدها، وما أعظم صورها؛ حيث يقول الله عزَّ وجلَّ قبل الحديث عن مشهد الآخرة يقول في هذا التمهيد: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ (إبراهيم:١٩، ٢٠)، ثم يقول: ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا . . . ﴾ إلى آخره .

OBEIKAN.COM

التفكُّر في خلق السموات والأرض بالحقِّ :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾

هذا خطاب لكلِّ مَن يتأتَّى خطابه ، يقول فيه : ﴿ أَلَمْ ﴾ ، وهذا استفهام كما يقول عنه علماء اللغة : استفهامٌ تقريري ، دخول الهمزة على حرف النَّفي : (لم) كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ (الشرح:١) ، فكأنه يقول له : لقد شرحنا لك صدرك .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ، أي : لقد رأيتَ أنَّ الله خلق السماوات والأرض بالحقِّ .

كلمة الرؤيا في القرآن :

والرؤية هنا رؤية علميَّة نظريَّة ؛ لأنَّ كلمة رؤيا في القرآن أحيانًا تكون رؤيا بصريَّة ، وأحيانًا تكون رؤيا حُلمية منامية ، كما قال الله على لسان الملك : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾(يوسف:٤٣).

وقوله عزَّ وجلَّ على لسان سيدنا يوسف : ﴿ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ (يوسف:٤) ، فهذه رؤيا منامية .

وهناك الرؤيا العلمية : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ، يعني هذا يفيد النظر العقلي .

خلق السماوات والأرض بالحقِّ :

﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ ، ألم تنظر وتَتَأمَّل بعقلك : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ، خَلَقَ هذا الكون عُلويَّه وسفليَّه بالحقِّ لا بالباطل ، خلقه لغاية حكيمة ،

OBEIKAN.COM

فلم يخلق الله تعالى شيئًا عبثًا ، ولا شيئًا باطلاً ، كما حكى الله تعالى عن أُولي الألباب : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ ﴾ (آل عمران:١٩١) ، لم يخلق الله شيئًا باطلاً : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (ص:٢٧) .

لم يخلق الله السماوات والأرض ولا شيئًا فيهما باطلاً ولا لهوًا ولا لعبًا : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الدخان:٣٨،٣٩) ، ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (الجاثية:٢٢) .

الحياة الآخرة حقٌّ :

من هذا الحقِّ : أنَّ هذا الكون لا يَفْنى فناءً صِرْفًا ، بحيث لا يكون بعده حياة أخرى ، ويذهب الظالمُ بظلمه ، والقاتلُ بقتله ، والطاغيةُ بطغيانه ، ولا ينال جزاءَهُ ، كما يذهب الخيِّرون بخيرهم ، الذين لم ينالوا عليه أجرًا في الدنيا ، بل ربما كان جزاؤهم : الاضْطهاد والإيذاء .

لا بد أن تكون هنالك حياة أخرى تُوفَّى فيها كلُّ نفسٍ ما كَسَبت ، وتُجْزى بما عَمِلت ، إنْ خيرًا فَخَيْر وإنْ شرًّا فشرٌّ : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ (الزلزلة:٧،٨) ، هذا معنى الحق الذي خُلِقت به السماوات والأرض ، والذي قامت به السَّماوات والأرض .

الله هو الذي خَلَقَ هذه السَّماوات والأرض ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (غافر:٥٧) .

OBEIKAN.COM

قدرة الله سبحانه على إذهاب الخلق والإتيان بخلق جديد :

﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

هذا الخالقُ العظيمُ الذي لا يُعجزه شيء ، ولا يحدُّ قُدْرَتَهُ حدٌّ ، يستطيع إذا خالفتم أمره ، وانحرفتم عن نهجه ، وبَعُدْتُم عمَّا خَلَقكم لأجله ، وقد خلقكم لعبادته ، وخلقكم لتعرفوه ، يستطيع الله عزَّ وجل أن يذهبَ بكم ويأتيَ بخلق آخر : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ، إذْهابُكم وإزالتُكم ومَحْوكم من الوجود ، ثم الإتيان بآخرين أفضلَ منكم ، يستطيعون أن يقوموا بما خَلَقهم الله له ، يقومون بعبادته وبخلافته في الأرض ، وبعمارة الأرض التي سخَّرها الله لهم ، ليس ذلك على الله بعزيز .

المراد بالخلق الجديد :

وهذا الخلق الجديد ، هل هو خَلْق غير هذا النوع من الآدميين الذين لم يقوموا بما أحلّ الله لهم ، وما أمرهم به؟ أو يأتي بنوع من الآدميين أفضل من هذا النوع؟

كلُّ هذا واردٌ ، وقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (فاطر:١٥،١٦) .

قدرة الله سبحانه على تغيير الخلق :

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾

أي : ليس بعظيم ولا ممتنع ولا متعذَّر على الله سبحانه : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴾ (النساء:١٣٣) ، وكقوله : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ (محمد:٣٨) ، وكقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

OBEIKAN.COM

ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾

(المائدة: ٥٤) .

الله سبحانه قادرٌ على أن يُذْهِبَ هذا الخَلْق ، ويأتِي بخلق آخر غير الجنس الآدمي ، أو يذهب بهذه المجموعة من الناس من بني فلان أو بني علان ، أو من الشعب الفلاني الساكنين في الأرض الفلانية ، ويأتي بشعبٍ آخر ، كلُّ ذلك داخلٌ في إطار القدرة الإلهيَّة ، وليس ذلك بعزيز ولا ممتنع على الله عزَّ وجلَّ .

مناقشة الإمام الغزالي :

وهنا تأتي مناقشة مع الإمام الغزالي رحمه الله ، حيث قال في كتاب التوكل من كتاب (إحياء علوم الدين) : « إن الله عز وجل لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم ، وعلم أعلمهم ، وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم ، وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها ، ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ، ثم كشف عن عواقب الأمور ، وأطلعهم على أسرار الملكوت ، وعرَّفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات ، حتى اطلعوا به على الخير والشر ، والنفع والضر ، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت ، بما أعطوا من العلوم والحكم ، لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه ، أن يزاد فيما دبَّر الله سبحانه الخلق به في الدنيا والآخرة جناح بعوضة » .

ويقول : « ليس في الإمكان أحسن منه ولا أتم ولا أكمل »[1]

فهو يقول : ليس في الإمكان أبدع مما كان ، ليس في الإمكان أن يُخلق كون أفضل من هذا الكون ، لأنَّ الذي دبره وأحسن تدبيره ، وقدر فيه كل شيء أحسن

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٢٥٨ ، ٢٥٩) ، دار المعرفة ، بيروت .

OBEIKAN.COM

تقدير ، وكل شيء فيه بقدر : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ (الفرقان:٢) . ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (السجدة:٧) . ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (النمل:٨٨) . ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران:١٩١) . لا يوجد أفضل من هذا .

« ولو كان وادَّخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله ، لكان هذا بخلاً يناقض الجُود ، وظلمًا يناقض العدل ، ولو لم يكن قادرا لكان عجزا ، يناقض الإلهية » .[1]

هذا الكلام قاله الإمام الغزالي في كتاب : (التوكل) من (الإحياء)[2]، وناقشه بعض المتأخِّرين من العلماء وقالوا : إنَّ في هذا تحديدًا لقدرة الله ، وأنَّ قدرة الله لا يمكن أن يَحدَّها شيء ، واستدلُّوا عليه بهذه الآيات : ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ ، وبقوله : ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ (محمد:٣٨) .

والكلام فيه مناقشةٌ طويلةٌ : هل هذا في التَّغيير الجزئي ، أم التغيير الكُلِّي؟ هل يخلق كونًا آخر ، أم يستبدل قومًا غيركم ويأتِي بخلق جديد ، ولكن الكون هو هو بما فيه؟!

يبدو أنَّ هذا الكلام صحيح بأنَّ الكون هو هو ، ولا يمكن أن يُبدَعَ كونٌ أفضل من هذا الكون ؛ لأنَّ الله أحسَنَ فيه كلَّ شيءٍ خَلقَه ، وأبدع كلَّ شيءٍ أعظَمَ إبداع ، وَوَضَع كلَّ شيءٍ في مَوْضعه ، وليس فيه أمرٌ اعتباطيٌّ ، ولا أمر عبثيّ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا ﴾ (المؤمنون:١١٥) ، ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ (الأنبياء:١٧) ، يعني : ما كنا فاعلين ، ﴿ بَلْ

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٤/٢٥٨ ، ٢٥٩)

(٢) في بيان حقيقة التوحيد (٤/٢٥٨، ٢٥٩) .

OBEIKAN.COM

نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ (الأنبياء:١٨) ، ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ .

ثم جاء المشهد الأُخرويُّ الذي يعضده القرآن ، فيقول : ﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾

حوار بين الضعفاء والمستكبرين يوم القيامة :

انتقلنا من الدنيا إلى الآخرة ، من الكَفَرة المُكذِّبين وتهديدِهم لرسلهم حين قالوا لهم : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ﴾ ، إلى دارٍ أُخرى لها قوانينُها ، ولها نظامُها ، ولها مَلِكُها وحاكمها .

﴿ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾

البروز يعني : الظهور والانكشاف ، ظهر الجميعُ أمامَ الله ، وانكشف الجميعُ أمامَ الله ، لا يوجد ساترٌ يستر ، ولا حاجز يَحْجُز ، ولا غطاءٌ يغطِّي ، ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (غافر:١٦) .

لم يَعُد هناك أحدٌ يدَّعي المُلك ، في الدنيا ملوك يدَّعونَ : أنَّ الأرض أصبحت مِلْكًا لهم ، وأنَّ السُّلطان في أيديهم ، وأنهم يأمرون ويَنْهَون ، ويحكمون ويتصرَّفون ، وكأنَّما لهم شيء .

في الآخرة زالَ ملك هؤلاء جميعًا ، وبقي المُلْك للمَلِكِ وحده : ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (غافر:١٦) ، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ (الانفطار:١٩) .

OBEIKAN.COM

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ ، انكشفوا ، بُلِيَتِ السرائر ، وأصبح كلُّ شيء مكشوفًا ، حتى أصبح الناس يحسُّون بكلِّ شيء : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (ق:٢٢) ، ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (مريم:٣٨) .

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ : السادة الكبراء ، والفقراء والضعفاء ، المتبوعون والتابعون ، المحكومون والحاكمون ، وشيطانهم الأكبر الذي أَضَلَّهم ، كلُّ هؤلاء ظهروا ، برزوا لله جميعًا .

﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾

قال ضعفاء الرأي والفكر من الأتباع للقادة المستكبرين : كنَّا في الدنيا أتباعًا لكم ، نأتمر بأمركم ، نستمع لقولكم ، ننتهي بنهيكم ، تُديرون أمورنا كأننا قُطعانٌ من الأنعام ، كنَّا تَبَعًا لكم : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾؟! السيادة التي كانت لكم في الدنيا هل نرى لها أثرًا في الآخرة؟! العَظَمة والهَيْلَمان الذي كنتم فيه من قبل ، أين هو الآن؟! هل أنتم مُغْنونَ عنَّا من عذابِ الله من شيءٍ؟!

تبرُّؤ الأتباع من المتبوعين :

﴿ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾

لا نستطيع أن نُغْنِي عنكم شيئًا ، ربما كانوا في الدنيا يَعِدونهم بأنهم يستطيعون أن يُخفِّفوا عنهم العذاب ، أو يدفعوا عنهم البلاء ، أو يشفعوا لهم عند الله أو نحو ذلك .

كلُّ هذا ليس له أيُّ صَدًى ولا أيُّ أثر ، كما حكى القرآن قصَّة الأتباع والمتبوعين والتي تكرَّرت في القرآن كثيرًا : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ

OBEIKAN.COM

ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة:١٦٦،١٦٧) .

وفي آيات أخرى في سورة الأعراف : ﴿ قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ أي : السادة الكبراء ، ﴿ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٨) .

وفي سورة الأحزاب : ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب:٦٧،٦٨).

وفي سورة سبأ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (سبأ:٣١-٣٣) ، وهكذا يتلاومون ويَتبرأ بعضُهم من بعض ، وكلُّ هذا بعد دخولهم إلى النار ، بعد أن ذاقوا العذاب ، يلوم بعضهم بعضًا : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ (غافر:٤٧،٤٨) ، نحن وأنتم في هذه النار ، في هذا العذاب : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ﴾ ، هكذا الأتباع والمتبوعون .

وليس للأتباع عذرٌ أن يسيروا وراء هؤلاء الكبراء والسَّادة المُضلِّين ؛ لأنَّ الله أعطاهم عقولاً يفكِّرون بها ، أعطاهم مَلَكَات ، أعطاهم إرادةً يُرجِّحون بها ، لماذا تنازلوا عن عقولهم؟!

لماذا تنازلوا عن إنسانيَّتهم وساروا وراء هؤلاء ، ومَشَوْا في ركابهم أتباعًا؟!

لماذا يُصبح الإنسان ذَيْلاً وقد خلقه الله رأسًا؟!

لماذا يرضى لنفسه أن يكون عبدًا وقد خلقه الله حُرًّا ؟!

لماذا رضيتُم أن تكونوا أتباعًا؟!

لماذا لم تبقوا سادَة أنفسكم؟!

وقد قيل : (كُن رأسًا لكلب ولا تكن ذيلاً لأسد) . لا تكن ذيلاً لأحد .

لكن هؤلاء رضوا أن يكونوا ذيولاً لغيرهم ، ولا عذر لهم في اتِّباع هؤلاء الكبراء .

ذَكَر القرآنُ قصَّة هؤلاء الأتباع ، وبراءة المتبوعين منهم ، لِيُبيِّن لهم ما يحدث يوم القيامة ، ليسارعوا ويُحرِّروا أنفسهم من التَّبعيَّة للغير .

﴿ فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا مِنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ ﴾ ، ربما فهموا أنهم كانوا يَقْدِرونَ على ذلك ، وربما وعدوهُم بذلك وعودًا كاذبة .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (العنكبوت:١٢)، لا بالعكس ، بل يحملون خطاياهم وخطايا الذين أضلُّوهم ، ﴿ وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ ﴾ (العنكبوت:١٣) .

لا يحملُ أحدٌ ثِقْل أحدٍ في الآخرة ، كلُّ واحد يحمل عبء نفسه ، ويحمل وِزْر نفسه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴾ (الأنعام:١٦٤) ، لكن المُضِلَّ يحملُ وِزْر

إضلال الآخرين : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴾ (النحل:٨٨) .

﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ ، أي شيء؟ أي تخفيف؟

﴿ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾ ، نحن واقعون في الضلال ، لا نستطيع أن ننقذ أنفسنا ، فهل نستطيع أن نُنقذكم؟! ما لكم من منقذ ، وما لكم من مَهْرَب ، أنتم تحملون وِزْرَ أنفسكم: ﴿ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾ ، كما قال تعالى: ﴿ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ (الصافات:٣٢) ، غَوَينا فأغويناكم ، وضَلِلْنا فأضْلَلْناكم ، ولو هدانا الله لهديناكم ، ولكن بَعُدوا عن الهداية .

﴿ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ﴾ ، الآن يعترفون بهداية الله ، وبعَظَمة الله ، وبأنه قادرٌ على أن يهدي مَنْ يشاء ، ولكنَّ اعترافهم في ذلك الوقت لا يُجْدي ؛ لأنه اعترافٌ بعد فوات الأوان . ولذلك قالوا :

لا مفرَّ من عذاب الله للأتباع والمتبوعين :

﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ .

ما لنا من مَفَر ، ما لنا من مَهْرَب ، ما لنا من مَلجأ ولا مَنْجى ، ما لنا من مَحِيص ، جَزِعنا أم صبرنا ؛ لأنَّ الصبر الذي يُجْدي وينفع ، إنما يكون في الدنيا في وقت التكليف ، أما في الآخرة فليس فيها تكليف لا ينفع فيها الصبر ، الصبر ينفع في أوان الصبر ، أما إذا فات الأوان فهَيْهات هَيْهات ، لا نَفْعَ له ولا جدوى منه ، ولذلك قال : ﴿ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الطور:١٦) ، هم قالوا لأنفسهم : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ ، ما لنا من خلاص ، ولا من مَهْرَب ، ولا من نَجَاة مما نحن فيه .

الشيطان يخطب في جهنَّم :

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

هكذا نرى هذا التَّهاوش والتَّجادل بين الضعفاء وبين سادتهم المستكبرين ، ثم قام زعيم الإضلال الأكبر ، قام الشيطان الذي أضلَّ هؤلاء وهؤلاء ، قام خطيبًا في جهنم ، قام لِيُبَرِّئ نفسَهُ ، وليحمِّلهم المسئولية ليزدادوا غمًّا على غمٍّ ، وحسرةً على حسرة ، وحَزَنًا على حَزَن .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ ، لما فَرَغَ الله من حساب الخلائق ، ودخل أهل الجنة الجنةَ ، وأهل النار النارَ ، وأصبحوا في العذاب ، قال الشيطان في هذه الحالة لما قُضي الأمر ، واجتمع عليه أهل النار موبخين له ، يطلبون منه العون بعد أن أضلَّهم ومنَّاهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ .

وعد الحق :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ على ألسنة رسله ، وَعَدكم أنَّ مَن آمن به وبُرسله وأطاعه وسَلَكَ منهجه ؛ سَعِدَ في الدنيا وفي الآخرة : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧) .

OBEIKANDL.COM

ومَنْ كفر بربِّه وجَحَد رُسُلَه ، وسار في طريق الشرِّ والضلال ، فلا بد أن يلقى جزاءَهُ ، هذا منذ أنزل الله آدم وحواء إلى الأرض ، قال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ (طه:١٢٣-١٢٦) .

هذا هو منهجُ الله ، واضحٌ منذ نزول آدم إلى الأرض ، ولذلك قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ ﴾ ، وبيَّن ذلك فيما أنزل من كتب ، وفيما بعث من رسل ، وظهرت الحقائق لكم .

وعد الشيطان :

﴿ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ ، كما قال الله تعالى : ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (النساء:١٢٠) .

﴿ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ﴾ ، وهذا يدلُّ على أنَّ إخلاف الوعد من أخلاق الشيطان ، ولذلك على المؤمنين إذا وَعَدوا ألا يُخْلفوا حتى لا يَتَشبَّهوا بالشيطان .

وقد جاء في الحديث : « آية المنافق ثلاث : إذا حدَّث كذب ، وإذا وَعَد أخلف ، وإذا اؤتمن خان »[1] والمؤمنُ غير ذلك ، إذا حدَّث صدق ، وإذا وَعَدَ أنجز ، وإذا عاهد وفَّى .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٣٣) ، ومسلم (٥٩) ، كلاهما في الإيمان ، كما رواه أحمد (٨٦٨٥) ، والترمذي في الإيمان(٢٦٣١) عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

ليس للشيطان سلطانٌ على الإنسان إلا الوسوسة :

﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ﴾

﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ ، لَم يُعطني الله القدرة على أن أتَحكَّم فيكم ، أو أُغيِّر من خِلْقَتكم ، أو أزيل عقولَكُم ، أو أغيِّر في أجسامكم ، كما يظنُّ بعض الناس : أنَّ الجنَّ يمكن أن يَتَحكَّم في الإنسان ، ويتكلَّم على لسانه ، ويزيل عقله .

ظاهر القرآن يخالفُ هذا ، ليس للشيطان سلطانٌ على الإنسان ، ما كان له من سلطان إلا الدعوة ، الوسوسة في صدور الناس ، ليدعو الناس بطريقته ، طريقة الوسواس الخنَّاس الذي يَتَسلَّل إلى النفوس لِيُغْوِيَها وليُضلَّها بالتَّزيين : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(الحجر:٣٩) ، ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾ (النساء:١١٩) .

كلُّ هذه الطرق التي يتَّخذها : طرقٌ خَفيَّة ، ويعتمد فيها على استجابة الإنسان ، هناك إنسانٌ يرفض وسْوَسة الشيطان ، ويعتصم بالله عزَّ وجلَّ ، هؤلاء هم عباد الله المُخْلَصُون الذين قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴾ (الإسراء:٦٥) .

والشيطان نفسُه قال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (ص:٨٢،٨٣) ، هؤلاء لا يستطيع أن يفعل فيهم شيئًا : ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ (النحل:٩٩،١٠٠).

سلطانُ الشيطان على عَبيدِ الشيطان ، الذين أصمُّوا آذانهم عن سماع الحقِّ ، واستمعوا إلى وسوسة عدوهم ؛ الذي طالما حذَّرهم الله تعالى منه : ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ

لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(فاطر:٦)، ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(البقرة:١٦٩) .

ولكن هناك مَنْ يستجيب لدعوة الشيطان ولوسوسة الشيطان ولإغواء الشيطان : ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ (إبراهيم:٢٢) .

سلطان المخلوق على آخر ، إما بالقهر والقوة ، وإما بالخداع والحيلة ، والشيطان ليس له قوَّة ولا قدرة على الإنسان .

أوهام بعض الناس عن الجن :

بعضُ الناس يظنُّ أن الجنَّ عنده من القدرة ما يستطيع أن يُسَخِّر به الإنسان ، وهذا ليس بصحيح ، القرآنُ حكى لنا : أنَّ الإنسان عنده من القدرة ما يستطيع أن يسخِّر به الجن .

رأينا هذا في قصَّة سيدنا سليمان ، سخَّر الله له الجن : ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (ص:٣٧-٣٩) .

ولكن لم نرَ جنيًّا سخَّر إنسيًّا ، لم يَحْك لنا القرآن ذلك ، الإنسان عنده قدرةٌ كبيرة ، انظر ماذا قال العفريت من الجن : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ (النمل:٣٩) .

وقال آخر ـ والظاهر أنه من الإنس ـ : ﴿ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ (النمل:٤٠) ، بواسطة العلم استطاع أن يأتيَ بعرش بلقيس من اليمن إلى فلسطين في لَمْح البصر .

OBEIKAN.COM

مكايد الشيطان ومداخله على الإنسان :

فالشيطانُ لا يستطيع بالقهر والقوَّة أن يَتسلَّط على الإنسان ، إنَّما يستطيع بالخِداع والحيلة ، بوسوسة الصُّدور ، يُوَسْوِسُ لبعض الناس فيُغْريهم بالمعصية ، وبالقعود عن الطاعة ، كما قال الله تعالى على لسان إبليس : ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ ، من كلِّ الجهات ، يعني أُزهِّدهم في الآخرة ، وأُرغِّبهم في الدنيا ، وأُغْريهم بالسيِّئات ، وأُبعدهم عن الحسنات ، يأتي من كلِّ الجهات : ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٧) .

استجابة أكثر الناس لوسوسة الشيطان :

والله سبحانه يقول : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سبأ:٢٠) ، والواقع : ضلَّ أكثر الناس : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة:٢٤٣) . ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ:١٣) ، استطاع إبليس بوسوسته ، بطرقه الخبيثة ، بطرقه الخفَّية أن يتسلَّل إلى النفوس الضعيفة التي لم تَسْتمسك بالعروة الوثقى ، ولم تهتدِ بهدى الله ، ولم تَسْتنر بنور الله عزَّ وجلَّ ، استطاع أن يؤثِّر فيها .

براءة الشيطان من المستجيبين لدعوته :

﴿ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾

﴿ فَلَا تَلُومُونِى ﴾ ، لا تجعلوا كلَّ اللوم عليَّ ، ﴿ وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ ، اللومُ عليكم أنتم ، فأنتم الذين جنيتم على أنفسكم باختياركم الحر! الذنبُ ذنبكم ، كما

OBEIKAN.COM

يقال في المثل : (ذنبك على جَنْبك) . أنت الذي اتَّبعتني ، أأنا أجبرتك؟! أنت عندك عقلك ، تركته ، عندك نور ، وأهملت هذا النور ، عندك هداية إلهيَّة ، أهملتها .

﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾

أي : ما أنا بمُنقذكم مع أنِّي أسمع صُراخكم واستغاثتكم ، لست بمغيثكم ولا بمنقذكم ، كما أنكم لستم بُمنْقذي ، لا يستطيعُ أحدٌ منَّا أن ينفعَ الآخر في هذا اليوم العظيم ، الذي يكون فيه كلُّ إنسان مُعلَّق من عُرقوبه ـ كما يقال ـ كل إنسان مسئولٌ عن نفسه ، لا يحمل أحدٌ وِزْرَ أحد في هذا اليوم ، الشيطانُ الذي أغراهم وغرَّهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾ (لقمان:٣٣) ، والغَرور هو الشيطان ، غرَّهم وأغْراهم وزيَّن لهم ، وسوَّل لهم ما سوَّل ، برئ منهم كما برئ بعضهم من بعض ، كما برئ السادةُ من الأتباع .

كفر الشيطان بالشِّرك والمشركين :

﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾

أنا كفرتُ بهذا الشِّرك ، كما قال تعالى عنه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الحشر:١٦) ، كفر بالشرك بالله ، وإبليس لم يكن مشركًا بالله لأن إبليس معترفٌ بالله عزَّ وجلَّ ، وقال : ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ (الأعراف:١٢) .

معترف بأنَّ الله خالقه ، قال : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (ص:٨٢) ، فما كان مشركًا ، ﴿ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ﴾ ، الإشراك هذا أنا كفرتُ به من قبل . ثم علَّل تبرؤَه :

﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

OBEIKAN.COM

إبليس نفسُه يعترف بأنَّ الظالمين لا بد أن يلقوا عذابهم : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس:٤٤) .

الظالمون لا بد أن يَلقَوا جزاءهم في الدنيا وفي الآخرة ، فإنْ أفلتهم جزاء الدنيا فلن يفلتوا من جزاء الآخرة : ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، مُعَدٌّ لهم ، ينالونه بما كسبت أيديهم ، لا بظلم من الله تعالى لهم ، إنَّ الله حرَّم الظلم على نفسه ، ولا يظلم أحدًا مثقال ذرَّة ، في يوم القيامة ، لا يخاف أحدٌ ظلمًا ولا هَضْمًا ، لا يَخَافُ أحدٌ أن يُظلم وأن يُحمَّل سيِّئات غيره ، ولا تُهضم حسناته ، بل سيأخذ جزاء حسناته : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ (طه:١١٢) .

دخول المؤمنين الجنَّة :

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾

أهلُ النَّار دَخَلوا فيها يَتَلاومون ويتلاعنون ، ويُلقي بعضُهم اللائمةَ على بعض ، ويبرأ بعضهم من بعض ، ويبرأ الشيطان منهم جميعًا ، وأهل الجنَّة أُدخلوا الجنَّة ، أدخلهم الله الجنَّة ، أو أدخلتهم الملائكة الجنَّة ، قالت لهم : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر:٤٦) ، ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (الزمر:٧٣) .

ارتباط الإيمان بالعمل الصالح :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، لم يكن مُجرَّد إيمان لا أثر له ، ولكنَّ إيمانهم كان له أثره في عمل الصَّالحات ، فهذا هو الإيمان النافع .

OBEIKAN.COM

«ليس الإيمان بالتَّمنِّي ولا بالتَّحلِّي ، ولكنَّ الإيمان ما وَقَر في القلب وصدَّقه العمل»[1] .

مدلول كلمة الصَّالحات في القرآن :

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، الذين آمنوا بالله ورسوله ، الذين وقفوا عند حدود الله وعملوا الخِلال الصَّالحات المرضيات عند الله ، وكلمة الصَّالحات : كلمة من الكلمات القرآنية الجامعة ، كلُّ ما يَصلح به دينُهم ، وتَصْلح به دنياهم ، كلُّ ما تصلح به أرواحهم وتصلح به أجسادهم ، كلُّ ما تصلح به حياتهم الروحيَّة وحياتهم الماديَّة ، كلُّ ما يُصلحون به أفرادًا ، ويُصلحون به جماعات ، ويُصلحون به أُممًا ، سواء كانت من صالحات الدين مثل : الشعائر والصلوات والأذكار والدعاء والاستغفار ، أو صالحات الدنيا ، مثل عمارة الأرض ، والعلم النافع من تسخير الكون ومصلحة الإنسان ؛ كلُّ هذه من عمل الصَّالحات

مراتب المؤمنين في الجنة :

﴿ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ ﴾

ثمانية جنَّات على حسب منازلهم ومراتبهم ، أعلاها : الفردوس الذي أمرنا النبيُّ ﷺ أن نسأله : «إذا سألتم اللهَ الجنَّة فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنان ، وفوقه عرش الرحمن»[2].

---

(١) إشارة إلى ما رواه ابن أبي شيبة في الإيمان والرؤيا (٣٠٩٨٨) ، مقطوعا عن الحسن البصري .

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير(٢٦٣٧) ، وأحمد (٨٤١٩) ، والترمذي في صفة الجنة(٢٥٣٠) عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

جريان الأنهار :

﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ ، تسبح فيها الأنهار ، العرب لأنهم كانوا في الصَّحراء ؛ والماء عندهم عزيز ، فكَوْن الجنَّات تجري من تحتها الأنهار هذا عندهم شيءٌ عظيم ، ولمَّا قال فرعون مصر : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الزخرف:٥١) ، علامة العَظَمة ، وعلامة العزِّ والرفاهيَّة ، أن تكون المياه قريبةً منك وفي متناول يدك .

الخلود في الجنَّات :

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ ، ماكثين فيها أبدًا ، لم يقعدوا فيها سَنةً ولا عشرَ سنين ولا مليون سنة ولا تريليون سنة ، لا ، ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ . وفي بعض الآيات : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ ، وإذا لم تُذكر يُحْمل هذا على ذاك ، هذا جزاؤهم ، مُخلَّدون فيها : ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ (هود:١٠٨) ، الجنة فيها الخلود الأبدي ، نعيمٌ لا ينقطع أبدًا .

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ ، بأمر الله ، بتوفيقه لهم ، بهدايته عزَّ وجلَّ إيَّاهم .

تحيَّة أهل الجنَّة :

﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾

﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ ، التحيَّة في الجنَّة هي السَّلام ، ولذلك نقول : السلام تحيَّة المؤمنين في الدنيا وفي الآخرة . في الدنيا يُحيِّي بعضنا بعضًا بالسلام ، إذا لقيَ بعضنا بعضًا سلَّم عليه : السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وفي الآخرة : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (الأحزاب:٤٤) .

OBEIKAN.COM

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٣،٢٤).

التحية يوم القيامة سلام ، تحيةٌ من الله : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾(يس:٥٨).

تحية من الملائكة : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ (الرعد:٢٣،٢٤) ، ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر:٤٦) ، ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (الزمر:٧٣) .

تحيَّة بعضِهم لبعض أيضًا : سلام ، ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴾ (الواقعة:٢٥،٢٦)، التَّحيَّة سلامٌ من الربِّ عزَّ وجلَّ ، ومن ملائكة الرحمن ، ومن المؤمنين بعضهم لبعض .

الجنَّة دار السلام :

هذه هي الجنَّة : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ ؛ لأنَّ الجنة سَلَام في سلام ؛ سمَّاها الله دارَ السلام : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:١٢٧) ، ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس:٢٥) ، دارُ السلام لأنَّ التحيَّة فيها سلام ، أو لأنها هي سلام ، سلامٌ من كلِّ خوف ، سلامٌ من كلِّ حزن : ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (يونس:٦٢).

سلامٌ من كل غِلٍّ : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ (الحجر:٤٧) ، ليس في الجنة كراهية ، حتى الأعداء حينما يدخلون الجنة : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ (الأعراف:٤٣) .

OBEIKAN.COM

الجنَّة ليس فيها إلا السلام المحض ، ليس فيها أحزان ، ليس فيها أحقاد ، ليس فيها كراهية ، ليس فيها مَخَاوف من المستقبل ، أمنٌ مُطْلق : ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ (الحجر:٤٦) ، هذه هي الجنَّة .

منهج القرآن في ذكر الوعد والوعيد :

القرآن بعد أن يذكر الوعيد يذكر الوعد ، بعد أن يذكر الترهيب يذكر الترغيب ، بعد أن يذكر النار يذكر الجنَّة ، بعد ذكر المشهد الهائل الرعيب الرهيب ، مشهد الذين برزوا لله جميعًا من الضعفاء والمستكبرين ، الذين تبرَّأ بعضهم من بعض ، ذكر مشهد الذين آمنوا وعَمِلوا الصَّالحات والذين أُدخلوا الجنة .

لماذا يذكر الله الوعيدَ والوعدَ والترغيب والترهيب؟! لِيُنشِئ في أنفس المؤمنين الحذر والأمل ، أو الخوف والرجاء : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾(الزمر:٩)، ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ (الإسراء:٥٧) ، ويتكامل هذان المعنيان في أنفس المؤمنين ، في نفس كلِّ مؤمن ، يكون عنده خوفٌ ورجاءٌ ، لا يَغْلب عليه الخوف حتى يَيْئَس من رَوْح الله : ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (يوسف:٨٧) ، ولا يغلب عليه الرجاء حتى يأمَن مكر الله : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف:٩٩) .

ولكن يكون هكذا بينَ بينَ : راجيًا خائفًا ، حَذِرًا آمنًا : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾ (الزمر:٩) ، ﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ (الحجر:٤٩،٥٠) ، ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة:٩٨) .

هذا هو منهجُ القرآن وأسلوبُ القرآن في التخويف والتأمين والتحذير والتبشير ، والتحريك والتسكين .

OBEIKAN.COM

يقول الإمام الغزالي في التعليق على قوله تعالى : ﴿ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾ (ق:٣٣) : (علَّق الخشية باسم الرحمن ، دون اسم الجبَّار أو المنتقم ، والمتكبِّر ونحوه ، لتكون الخشية مع ذكر الرحمة ، فلا تكون الخشية تُطِير قلبك بمرَّة ، فيكون تخويفًا في تأمين ، وتحريكًا في تسكين .

كما تقول : أما تخشى الوالدة الرحيمة؟ أما تخاف الوالد الشَّفيق؟ أما تحذر الأمير الكريم ؟ والمراد من ذلك : أن يكون الطريق عدلاً ، فلا تذهب إلى أمن ولا قنوط)[1].

هذا هو منهج القرآن الكريم ، وهذا هو المنهج الذي يجب أن نفهمه ونتَّبعه : أن نعيش بين الخوف والرجاء : خائفين من عذاب الله ، راجينَ رحمةَ الله عزَّ وجلَّ .

* * *

(١) منهاج العابدين صـ ٢٥٧ ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٩٨٩م .

OBEIKAN.COM